# دارسة في إشكالية تأثير الثقافة على عملية التنمية

**اعداد د. محمود عمر محمد عيسى**
**أستاذ مشارك بقسم علم الاجتماع**
**كلية الآداب، جامعة الزاوية**

**الملخص:**

تبحث هذه الدراسة في إشكالية العلاقة بين الثقافة والتنمية، تعتبر المحددات الثقافية في العملية التنموية على درجة عالية من الأهمية عندما تشكل عائقا ومعوقا لأنها تمثل مرجعية للسلوك الفردي، ومحركا للسلوك الجمعي، فاذا شكلت هذه المحددات ممانعة ومقاومة للتغيير والتنمية فهنا نحن امام ثقافة غير مواتية للتنمية ومن هنا تتضح العلاقة بين الثقافة والتنمية تطرح هذه الورقة سؤال أساسي: كيف تؤثر الثقافة في عملية التنمية؟ وما اهم المحددات الثقافية التي تؤثر في السلوكيات التنموية؟ وما هي اهم القيم التي تحقق بها المجتمعات أو تفشل في تحقيق التقدم في مجال التنمية؟ وكيف يمكن أن نغير من أو تزيل العقبات الثقافية لتسهيل التقدم والتنمية؟

وتتبني فرضية رئيسية مفادها(أن الفضاء الثقافي في المجتمعات يؤدي دورا بالغا في تكوين وغرس القيم التنموية او ما يعرف بالوعي التنموي بحيث يصبح داعما للتطور أو معوقا له) ولتحقيق ذلك تم اجراء مسح مكتبي لاهم التيارات العلمية النظرية التي حاول تفسير هذه العلاقة وكيف تكون الثقافة محدد مهم للتنمية فهناك ثقافات مؤاتيه وداعمة للتنمية وهناك ثقافات تقليدية غير مواتية وممانعة، ومعيقة، ومن هذه الاتجاهات الدين والتنمية لماكس فيبر والقيم التقليدية والقيم الحديثة لتالكوت بارسونز "متغيرات النمط" و نظرية الأبعاد الثقافية لهوفستد واتجاه قيم الثقافة والنماذج الذهنية ثم ناقشنا بعض الاعمال حول المجتمع الليبي وخاصة نموذج المراوحة لمصطفي التير ونتائج مسح القيم العالمي نتائج ليبيا، حيث تؤكد بعض الدراسات على أن هناك قيما حداثية مدنية عالمية تتميز بها

الثقافات التقدمية عن الثقافات التقليدية، وهذه القيم ليست لها علاقة بالجنس أو الإقليم أو المناخ، بل إن توافرها مرتبط بالثقافة السائدة في أي مجتمع.

**الكلمات المفتاحية: الثقافة – التنمية–القيم التقليدية – القيم الحديثة–النماذج الذهنية**

**المقدمة:**

تعتبر الثقافة طريقة للحياة بما في ذلك المعرفة والعادات والمعايير والقوانين والمعتقدات التي تميز مجتمعا خاصا او مجموعة اجتماعية. بهذا المعنى تفيد الثقافة جميع العناصر في طريقة حياة المجتمع التي يقع تعلمها، ومن بينها اللغة والقيم والمعايير الاجتماعية والمعتقدات والعادات والقوانين[1]. فالثقافات هي ما يعتقد الناس أنهم جزء منه أو ما ينتمون إليه.

تؤثر المنظومة الثقافية السائدة في المجتمع بكل مكوناتها وما تحتويه من قيم تحكم وتوجه أفعال وسلوك الافراد في عملية التفاعل في ما بين الافراد والمؤسسات، فالإنسان هو العنصر الفاعل في عملية التنمية فإسهامات الناس وانتاجهم يتوقف على قيمهم وقناعاتهم والذي نسميه **الثقافة التقدمية** او **الرأسمال الاجتماعي والثقافي او النماذج الذهنية للتنمية** مع وجود الاختلافات النسبية في هذه المفاهيم، فالثقافة محدد مهم للتنمية فهناك ثقافات مؤاتيه وداعمة للتنمية وهناك ثقافات تقليدية غير مواتية وممانعة، ومعيقة لعملية التنمية فأساس عملية التنمية هو احترام وحب العمل والانجاز والاجتهاد والابداع ولكن بعض الثقافات لا تولى مهمة كبيرة للعمل وخلق الثروة، ومكانة الفرد تتحقق بعناصر خلاف عناصر العمل والانجاز بعناصر تقليدية تحددها الثقافة السكونية اي ان مكانة الفرد تحدد بالمولد والانتماء وليس بالجدارة والكفاء والانجاز، فمثلا التمييز بين الثقافات في النظرة الى المستقبل "يمكنني التحكم بمستقبلي" (الثقافات الميّالة للتقدم) وكل شيء متروك للقدر والحظ "(الثقافات المقاومة للتقدم) الثقافات الميالة للتقدم منفتحة على الإبداع

وسريعة التكيّف معه، في حين أن الثقافات المقاومة للتقدم مفعمة بالشك وبطيئة في التكيّف.[2]

**أولا: مشكلة الدراسة:**

في خمسينيات القرن الماضي مع ظهور الفكر التنموي التقدمي كانت التفسيرات السائدة للوضع التنموي ان السبب هو الاستعمار والتبعية للخارج هو أسباب الفقر والتنمية البائسة في الدول النامية، ولكن هذه التفسيرات لم تعد مقنعة بعد نصف قرن من الاستقلال لهذه الدول، فعاد علماء الاجتماع الى العوامل الثقافية لتفسير عملية التنمية والتحديث والديمقراطية وسلوك الافراد والأقليات، فهناك تيارات كثيرة ترى ان للثقافة دورا مهم في التنمية ويريدون الوصول الى فهم اعمق للجوانب السلبية والايجابية التي لها تأثير على التنمية في ثقافتهم، ويفكرون في إمكانية التغيير الثقافي.[3]

تعتبر المحددات الثقافية في العملية التنموية على درجة عالية من الأهمية عندما تشكل عائقا ومعوقا لأنها تمثل مرجعية للسلوك الفردي، ومحركا للسلوك الجمعي، فاذا شكلت هذه المحددات ممانعة ومقاومة للتغيير والتنمية فهنا نحن امام ثقافة غير مواتية للتنمية ومن هنا تتضح العلاقة بين الثقافة والتنمية، والتي يجب ان يتم تفكيك هذه الثقافة الى عناصرها والبحث عن القيم المعززة للتنمية والقيم المقاومة للتنمية.

ومن هنا تبدأ العلاقة بين الثقافة متمثلة في القيم التنموية، التي نقصد بها تلك المنظومة القيمية الفاعلة والتي يطلق عليها قيم الحداثة والثقافة المدنية، بما فيها رأس المال الاجتماعي، والتي تكون الثقافة التقدمية، وبين التنمية والتغيير كمطلب إنساني ملح يفرض نفسه على المجتمعات النامية التي تسعى إلى تحقيق حياة أفضل تتسم بالنمو والرخاء. فالتنمية المجتمعية لها شروط اجتماعية، فهي بحاجة إلى فاعلين على درجة عالية من الثقة والشفافية، وهي بحاجة إلى مجموعة من القيم والمعايير الحداثية، وهي بحاجة إلى أن يدرك الفاعلون الأفراد وجود بعضهم

البعض، وأن يكونوا قادرين على خلق شبكات اجتماعية تتخطى حدود العائلة والقبيلة والعشيرة. وهذا الرأس مال الاجتماعي بدوره رأس مال اقتصادي لأنه يوفر بيئة مواتية للإنتاج والادخار وصناعة الثروة، مع وجود الدافعية للعمل والالتزام الاجتماعي.

**تطرح هذه الورقة سؤال أساسي: كيف تؤثر الثقافة في عملية التنمية؟** وما اهم المحددات الثقافية التي تؤثر في السلوكيات التنموية؟ وما هي اهم القيم التي تحقق بها المجتمعات أو تفشل في تحقيق التقدم في مجال التنمية؟ وكيف يمكن أن نغير من أو تزيل العقبات الثقافية لتسهيل التقدم والتنمية؟

**الفرضية الرئيسية (**أن الفضاء الثقافي في المجتمعات يؤدي دورا بالغا في تكوين وغرس القيم التنموية او ما يعرف بالوعي التنموي بحيث يصبح داعما للتطور أو معوقا له**)**

لا نقصد بالفضاء الثقافي هنا أشكال الفكر المختلفة والمتناقضة، ولكن مجموع أساليب الحياة والتفكير ورؤى العالم التي تشكل حياة الأفراد والجماعات في المجتمع، إنها أساليب حياة المجتمع وطرائقه في التذوق والتقويم، والتي تشكل مواقفه وطموحاته وصراعاته، وهي في النهاية تشكل الوعي الذاتي لدى الإنسان الذي يعيش في كنفها، ومن ثم فإن أي نقد أو تغيير يجب أن لا يقتصر على أسلوبنا في التفكير، وإنما على طرائقنا في الحياة والعمل، أي على ثقافتنا في تجلياتها المختلفة، وهذا يحيلنا إلى القيم التي هي مكون الثقافة الأكبر، ومحدد السلوك، فالقيم تؤثر في كيفية توجيه النشاط الاجتماعي، وبخاصة إذا ركزنا على استخدامها بشكل مؤسسي في التنشئة الاجتماعية، حيث تؤثر بالفعل في السلوك حين يتأصل في المؤسسات، لأن القيم الثقافية مهمة يقينيا في عملية التقدم البشري، لأنها تصوغ طريقة تفكير المرء بشأن التقدم ورؤيته للعالم.

تهدف هذه الورقة الى توضيح مدى تأثير المحددات الثقافية على التنمية بشكل عام من خلا مسح نظري لاهم التيارات الفكرية التي ناقشت وفسرت العلاقة بين التنمية والثقافة. وبعض المناقشات حول المجتمع الليبي.

**ثانيا: المفاهيم الرئيسية:**

**الثقافة:** يعتبر تعريف تايلور للثقافة الأكثر انتشارا والأسبق زمنا وهو (ان الثقافة ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات او أي قدرات أخرى يكتسبها الانسان بصفته عضوا في المجتمع)

وهي كل النشاطات العقلية والجسدية الممارسة والموروثة والتي تخلق لدى جماعة ما طريقة متميزة في طرائق الحياة وتتخذ تلك الأشياء صفة التنظيم والتراكم والانتقال بالتعليم والاكتساب الطوعي ويترك أثره على طرائق التفكير ونماذج السلوك.

**التنمية:** عملية تغيير مخطط وهادف ومستديم شامل لكل فئات المجتمع ويهدف الى تغيير الظروف والاحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالاستغلال الاحسن للموارد.

**التنمية المستدامة:** هي التنمية التي تلبي حاجات الحاضر من دون تعريض قدرة أجيال المستقبل لخطر عدم تلبية حاجاتها، بمعنى تحقيق التنمية الاقتصادية وفي نفس الوقت المحافظة طويلة المدى على البيئة الطبيعية.

**النماذج الذهنية:** يتألف النموذج الذهني من معتقدات واستدلالات واهداف تتميز بانها مباشرة للشخص وملموسة ومحددة، انها خريطة ذهنية توضح رؤيته للعالم وكيف يعمل[4].

هناك مجموعة من المعتقدات والمواقف هي اما مواتية للأبداع وخلق شروط التنمية والرخاء او منافية وممانعة لها، وتؤلف هذه المعتقدات نموذجا ذهنيا، يمكن تحديده وتكوينه واختباره تأسيسا على هدف معين بذاته ومحدد بوضوح، يستخدم الناس النماذج الذهنية والمؤسسات لصوغ الأداء التنموي والاقتصادي.

ونود في هذا الصدد ان نلقي الضوء على بعض اهم التيارات النظرية الفكرية المعاصرة والتي تحاول ان تجد تفسير ا لقضايا التخلف والتنمية في دول العالم.

**أولا: الدين والتنمية: ماكس فيبر:**

يعتبر العالم الألماني ماكس فيبر، من اوائل علماء الاجتماع الغربيين الذين اثاروا أسئلة مهمة حول العلاقة بين الثقافة والاقتصاد، وكيفية اختلاف الطبقات الاجتماعية في المجتمعات بسبب اختلاف وتعدد الطوائف الدينية فيها وخاصة في بلاده المانيا، لاحظ فيبر أن هذه البلاد المتعددة الطوائف ينتمي فيها اغلب أصحاب الثروات والنفوذ ورجال الأعمال من الطائفة البروتستانتية الكالفينية، ركز فيبر على توضيح ماهية عناصر هذه الديانات وهي البداية لمعرفة تلك الأسباب. حيث تتسم البروتستانتية بأنها تهتم بمباهج الحياة، وترى أن على الفرد أن يعيش باستمتاع وإثارة ومجازفة، على عكس ما تتسم به الكاثوليكية كونها في رأي فيبر أكثر "انفصالاً عن العالم" وأنها تعطي لا مبالاة كبيرة إزاء ثروات العالم، استند إلى فكرة أن تركيز الكالفينية على ضرورة العمل الجاد كعنصر من عناصر النجاح الدنيوي وكعلامة مرئية أو نتيجة للخلاص الشخصي.

رأى أن البروتستانتية بدأت مع مارتن لوثر الذي كان يركز على الأعمال الدنيوية ويعتبر العمل كواجب يستفيد منه كل من الفرد والمجتمع ككل، وبالتالي شجعت البروتستانتية على تراكم الثروات واعتبرتها نعمة من عند الله، كذلك كان لأخلاق العمل البروتستانتية كقيم الموثوقية، والادخار، والتواضع، والصدق، والمثابرة والتسامح، أحد أسباب نشأة الثورة الصناعية.

ويجمل ماكس فيبر اهم هذه القيم:

- النظام والالتزام بالمواعيد.
- المصداقية.
- حب العمل وإتقانه.
- كل ساعة في العمل من أجل مجد الله.

- التقدم والتحديث.
- الاستخدام الأمثل للموارد.
- السيطرة المطلقة على الذات والنفور من المتعة الجسدية.

بشكل أعم، فإن تحليل الأديان يشير إلى أن أداء المجتمعات التي تعتنق الديانات البروتستانتية واليهودية والكونفيوشية أفضل من أداء المجتمعات الكاثوليكية والمسيحية الأرثوذكسية لأنها تشترك في أنماط القيم الخاصة بالسلوك الاقتصادي الذي يميل إلى التقدم، في حين أن الأديان المتباطئة تميل نحو القيم المقاومة للتقدم. ويرمز التناقض المستمر للكنيسة الكاثوليكية نحو اقتصاد السوق إلى هذا الانقسام.

ان الدراسة التي قدمها لنا ماكس فيبر عن القيم والأخلاق كثقافة وبين الرأسمالية كنظام اقتصادي تنموي، قد فتحت الباب لتفسير العلاقة المتبادلة بين الظاهرة الدينية بوصفها من اهم المحددات الثقافية والظواهر الاقتصادية والتي انتهاء فيها بان القيم الدينية تمثل قوة دافعة للتنمية.

لقد ساهم الدين في اوروبا في فيما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر في تشجيع ظهور نموذج إنساني كان قبل ذلك نادرا واستثنائيا، هذا النموذج الذي يتمتع بصفات العقلانية، والنظام، والاجتهاد، والإنتاجية العالية، كوّن الاقتصاد الجديد ونمط الإنتاج الجديد الذي نعرفه بالرأسمالية الصناعية.

**ثانيا: القيم التقليدية والقيم الحديثة: تالكوت بارسونز: "متغيرات النمط":**

لن نتعرض في هذا المقام لكل أفكار بارسونز في النظرية الاجتماعية، وإنما سنركز على أفكاره المتعلقة بموضوع هذه الدراسة، وهي مكانة الأفكار والمعتقدات في الحياة اليومية الاجتماعية، وعلاقة البناء الثقافي بالبناء الاجتماعي الاقتصادي، وممارسات الأفراد في المجتمع، وخصوصا متغيرات النمط التي تعد حسب وجهة نظر بارسونز تصنيفا لأفعال وسلوك الأفراد في المجتمعات التقليدية والحديثة، والتي ستكون أحد المداخل النظرية الموجهة للدراسة.

تعتبر وجهة النظر البارسونية ان التحكم الراسي الذي يشكل بنية النسق الاعتقادي، حيث تتشكل القيم المجردة والعامة والمعايير الخاصة بالنسق الثقافي في ما هو مسموح او غير مسموح به في النسق الاجتماعي، وتتحكم تلك المعايير بدورها في سلوك الافراد الذين يؤدون الأدوار الاجتماعية داخل المجتمع البشري، وعلى الرغم من ذلك هذه القيم غير ثابتة ومن وجهة نظر بارسونز فان التغير الثقافي وإنتاج المعنى ينظر اليهما كأنهما عملية انتشار حيث يتم التطور التلقائي في أي او كل الانساق الفرعية لمجتمع ينتج عنه التباين الاجتماعي، يؤدي الأخير بدوره الى ظهور قائمة جديدة من المشكلات التي لا يقوى على مواجهتها النمط الثقافي القديم. ويصبح النمط الثقافي الناجم بالضرورة هو أساس الاستقرار الاجتماعي عندما يكون قادرا على احتواء الصراعات او الاختلافات التي تظهر في المجتمع(5).

وتتمثل الموضوعات الأساسية عند بارسونز في أنه:

- يرى الحياة الاجتماعية من خلال أفكار البشر، وبخاصة من خلال معاييرهم وقيمهم، فالمعايير هي تلك القواعد المقبولة اجتماعيا التي يستخدمها البشر في تقرير أفعالهم، أما القيم فأفضل وصف لها ما يعتقد البشر عما يجب أن تكون عليه الحياة الاجتماعية، وهي أيضا لها تأثير في تحديد أفعالهم. وأهم العمليات عند بارسونز هي عملية توصيل المعاني أي الرموز والمعلومات.
- يهتم بارسونز بانتظام أفعال الأفراد وفقا لأنساق من الأفعال، أي بتطبيق الاتجاهات النظرية الكلية والفردية في آن واحد، وكان تركيزه الأساسي والدائم على حالة الاستقرار والنظام، حيث يرى أن النظرية الاجتماعية هي محاولة للإجابة على هذا السؤال: كيف يكون النظام ممكننا؟

تتمثل الظاهرة الأساسية في نظرية الفعل عند بارسونز فيما أسماه "وحدة الفعل" التي عرفها في ضوء أربعة عناصر، أولها: أنها تدل على وجود فاعل، وثانيها: أن وحدة الفعل تتضمن هدفا أو حالة مستقبلية يتجه إليها الفاعل، وثالثها:

أن الفعل يحدث في موقف يشتمل عنصرين وهما الأشياء التي لا يستطيع الفاعل السيطرة عليها "الظروف"، والأشياء التي يمكن للفاعل أن يمارس سيطرته عليها "الوسائل"، وآخرها: المعايير والقيم التي تشكل اختيار الفاعل للوسائل المؤدية إلى الأهداف(6) ونلمس في وحدة الفعل هذه الاهتمامات التكاملية التي شغلت بارسونز طيلة حياته، وعلى الرغم من أنه اهتم بالفاعلين وأفعالهم فقد ألمح إلى اهتمامه بالوعي، بمعنى الاختيار الإرادي للوسائل المؤدية للأهداف، ولكن هذا الاختيار ليس حرا، مما يشير إلى الاهتمام من جانب بارسونز بالأبنية الاجتماعية التي تقيد الفعل، وهنا تلعب الكينونات الثقافية دورا أساسيا في الفعل(7) ومن خلال مفهوم الاختيار الإرادي الذي يرتبط بدوره بوحدة الفعل فإن النزعة الاختيارية الإرادية تتعلق بالفاعلين الذين ينظر إليهم على أنهم يقومون بالاختيار في المواقف الاجتماعية، ولا يعني ذلك أن الفاعلين أحرار بصفة كلية في اختيارهم، فالنزعة الاختيارية الإرادية ليست مساوية للإرادة الحرة، ومع ذلك تدل هذه النزعة دلالة ضمنية وبصورة واضحة على وجود الوعي والعقل والأفراد الذين يصنعون القرارات.

ويربط بارسونز طبيعة الفعل الاجتماعي بخصائص الأنظمة الاجتماعية بوضع عددٍ من البدائل التي تواجه أي فاعل في أية وضعية اجتماعية، وقد سمي هذه البدائل بمتغيرات النمط التي تتكون من خمسة أزواج من البدائل، حيث اعتقد بارسونز أن أساس نظرية الفعل هو بناء أنساق الفعل التي تتكون من الأنماط ذات المعنى الثقافي التي انصهرت داخل النظم "في الانساق الاجتماعية والثقافية "واستدمجت في الوعي " داخل أنماط الشخصية والكائنات العضوية"، ويعد هذا الأساس النظري دعامة أساسية في أعمال بارسونز، لأنه يفسر التقاء الجوانب الفردية والجماعية موضحا أن هذا الالتقاء يقوم على الطابع المزدوج للأنماط الثقافية التي توجد في وعي الأفراد أي عقولهم، وفي عالم الرموز داخل المجتمع(8) وهناك مسلمة رئيسية في نظرية بارسونز تقول "إن الفعل البشري يكشف دائما عن خصائص النسق "المجتمع"، أي من خلال تفسير فعل الأفراد نستطيع أن نحدد

خصائص هذا المجتمع، حيث يؤكد على اعتبار "القيمة" عنصرا ضمن منظومة رمزية اصطلاحية تمثل معيارا للاختيار بين بدائل متاحة في موقف محدد(9) ومعنى هذا أن الأمم الوحيدة المهيأة لإنجاز تطوير سريع ومستدام هي تلك التي لديها منظومة قيم مواتية لاتخاذ قرارات تقاوم التخلف، أي لديها قيم أداتيه يجب دعمها والاستجابة لها. ومتغيرات النمط التي يسوغها تؤكد لنا ذلك، والتي كانت دعامة أساسية لنظريات التحديث فيما بعد.

وتتمثل **الأولى** في العمومية مقابل الخصوصية: أي أن يتم الدور في شكل قواعد سلوكية قيمية شاملة تتجاوز حدود علاقة الدور الخاصة، وذلك يعني المعنى العمومي، أو أنه منطلق من تقييم تقديري لشيء اجتماعي خاص، وذلك يعني المعنى الخصوصي للدور، وكل ذلك في ضوء المعايير السائدة، بمعنى أن يسلك الفاعل وفقا لمعايير عامة، بصرف النظر عن ارتباطه بالموضوعات التي يتعامل معها، أو أنه يسلك وفقا لمعايير خاصة تختلف من موضوع إلى آخر.

**أما الثانية** فهي النوعية أو الصفة مقابل الأداء: والمقصود بها "تركيز الاهتمام على مضمون الدور الخاص بتأدية الفرد لدوره والذي أساس التقييم فيه الإنجاز، أو الاهتمام بصفات الفاعل الاجتماعية والجسمية، وذلك يعني أن النوعية (العزو) هي أساس التقييم، أي أن يقيم الموضوع في ضوء الإنجاز ودرجة الأداء، أو وفقا لخصائصه الذاتية أي "نوعيته".

**والثالثة** متغير الحياد العاطفي مقابل الوجدانية والتحيز: "ويتم فيه التفريق على أساس توقعات الدور، فإما أن يتم اعتبار تحقيق الدور على أنه جزاء عاطفي وإشباع نفسي، أو أن يكون الجزاء لتحقيق الدور محايدا عاطفيا".

**والرابعة** الانتشار مقابل التخصص والتحديد: ويعرف بأنه " كل علاقة بين فاعلين هي من الناحية الوظيفية إما أن تكون محددة أو منتشرة "، بمعنى النظر إلى الدور في ضوء حدود التخصص، أو إنشاء علاقات متداخلة بين الأدوار دون أية حدود.

**والخامسة** هي المصلحة الذاتية مقابل المصلحة الجماعية: "وهي الثنائية التي تقوم إما على التوجه الذاتي أو التوجه الجماعي للدور"، يتيح الاختيار الأول للفاعل أن يكون سلوكه وفقا للمصلحة الذاتية، أما الاختيار الثاني فإنه يتيح له أن يسلك وفقا للمصلحة الجماعية.

وتعد هذه المتغيرات بمثابة بدائل مجردة توجد أمام الفاعل، ويمكنه أن يوجه سلوكه طبقا لأي منها في إطار عادات الاختيار الخاصة بالجماعة أو المجتمع الذي ينتمي إليه، والذي هو بمثابة تعبير عن المعايير والقيم السائدة. لقد مثلت هذه الأفكار حول متغيرات النمط، ومخطط التغير الاجتماعي وتصنيف الانساق الاجتماعية وفقا لمتصل التقليد – الحديث على أساس درجة التباين في مستوياتها المجتمعية، الأساس النظري لأعمال أنصار التحديث، فكانت الأساس لكثير من النظريات في التحديث من أهمها نظرية المراحل لوالت روستو، ولذلك يعد بارسونز منظراً للحداثة، لأنه أدرك المشكلات الأساسية للحداثة، وهي أن الفعل الاجتماعي بطبيعته لا يخلق النظام فحسب، بل أيضا يخلق الفوضى، حيث يؤكد كل من هولتون Holton وتيرنر على أن بارسونز منظر الحداثة الأهم، لأن أعماله تقدم نظرية في الحداثة تؤكد على أنه لا خيار لنا في قبولها ووضعها موضع التنفيذ، فهو لا ينشد العودة إلى قيم السلف أو إلى القيم السابقة للحداثة أو إلى إحيائها، باعتبار أنه منظر المجتمعات الرأسمالية الحديثة، وخصوصا عندما تنبأ بأن المجتمعات الاشتراكية تواجه كارثة صعبة، وهذا ما تحقق فعلا(10).

**ثالثا: نظرية الأبعاد الثقافية لهوفستد:**

يعرّف البروفيسور غيرت هوفستد **GEERT HOFSTEDE** الثقافة على انها برمجة العقل البشري والتي من خلالها تميز مجموعة من الناس نفسها عن مجموعة أخرى، ويتم تعلم الثقافة من البيئة المعاشة وننظر لها على انها ظاهرة اجتماعية مشتركة.

يشبه هوفستد الثقافة بالبصل لأنها تتكون من طبقات مثل البصلة فالطبقة الخارجية من البصل تمثل الرموز مثل الطعام او الشعارات او الألوان او الاثار وتتكون الطبقة الثانية من الابطال ويمكن ان تشمل شخصيات عامة واقعية مثل رجال الدولة او الدين او الرياضيين او الابطال التاريخيين في الثقافة الشعبية. وفي الطبقة الثالثة وهي الأقرب الى القلب تأتي الطقوس وهي التي تتكون من احداث متكررة تشكل عقولنا اللاواعية .على سبيل المثال الاحتفال بالأعياد مثل عيد الاستقلال او الأعياد الدينية.

في جوهر الثقافة، ستجد القيم، وهي تفضيلات واسعة لحالة معينة (مثل تفضيل المساواة على التسلسل الهرمي) تنتقل القيم من خلال البيئة التي نشأنا فيها، مثل سلوك الآباء أو المعلمين الذين يوضحون لنا ما هو مقبول وما هو غير مقبول .تتشكل القيم إلى حد كبير بحلول الوقت الذي وصلنا فيه إلى سن 10-12 عامًا.

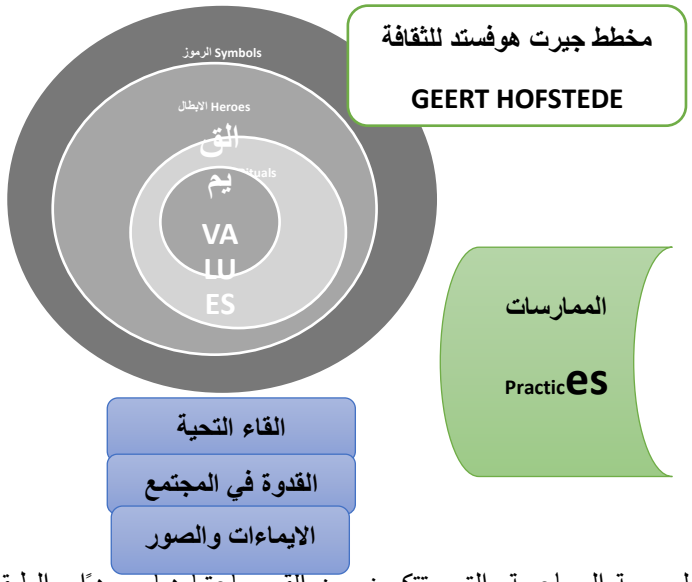


لبرمجة الجماعية، التي تتكون من القيم باعتبارها جوهرًا، والطبقات الثلاث المحيطة بذلك النواة، هي ما نعنيه بالثقافة. لا تظهر المشكلات المتعلقة بالثقافة عادةً عندما

يسير كل شيء على ما يرام؛ عندما نشعر بالتهديد أو بعدم الارتياح، نميل إلى "العودة إلى الأساسيات" العودة إلى القيم التي غُرست فينا عندما كنا صغار[11].

نظرًا لأن الثقافة هي ظاهرة جماعية، فإننا نستخدمها لتحليل سلوك المجموعات وإجراء تقييم لاحتمالية تصرف مجموعات من الأشخاص بطريقة معينة. شخص واحد لا يمثل الثقافة بأكملها ولكن في مجموعة من الناس من ثقافة واحدة، من المرجح أن يتصرف الناس بطريقة مناسبة لتلك الثقافة.

نظرية الأبعاد الثقافية هي إطار يستخدم لفهم الاختلافات في الثقافة عبر البلدان ولتمييز الطرق التي تتم بها الأعمال عبر الثقافات المختلفة .بمعنى آخر، يتم استخدام إطار العمل للتمييز بين الثقافات الوطنية المختلفة، وأبعاد الثقافة، وتقييم تأثيرها على بيئة الاعمال والتنمية. ويهدف هوفستيد الى تحديد الأبعاد التي تختلف فيها الثقافات، ووصف تأثير ثقافة المجتمع على قيم أعضائه، وكيفية ارتباط هذه القيم بالسلوك الإنساني، باستخدام هيكل مشتق من تحليل العوامل.

حدد هوفستد اربعة فئات تحدد الثقافة ثم أضف بعدان اخران ليصبح العدد ست ابعاد وهم:[12]

- مؤشر مسافة السلطة(الطاقة) (PDI)
- الجماعية مقابل الفردية (IDV)
- مؤشر تجنب عدم اليقين (UAI)
- الأنوثة مقابل الذكورة (MAS)
- التوجه قصير المدى مقابل التوجيه طويل المدى(LTO)
- ضبط النفس مقابل التساهل(IND)

**1. مؤشر مسافة السلطة:**

يأخذ مؤشر مسافة السلطة في الاعتبار مدى التسامح مع عدم المساواة والقوة. اي كيف يتم النظر إلى عدم المساواة والقوة من وجهة نظر التابعين.

- يشير مؤشر مسافة السلطة او القوة العالية (+) إلى أن الثقافة تقبل عدم المساواة والاختلافات في القوة وتشجع البيروقراطية، وتظهر احترامًا كبيرًا للرتبة والسلطة.
- يشير مؤشر مسافة السلطة المنخفضة (−) إلى أن الثقافة تشجع الهياكل التنظيمية المسطحة وتتميز بمسؤولية اتخاذ القرار اللامركزية، وأسلوب الإدارة التشاركي، والتركيز على توزيع السلطة.

يحدد مؤشر مسافة السُلطة المدى الذي يَقبل به أعضاء الشركات والمؤسسات الاجتماعية (مثل العائلة) كيفية توزيع السُلطة بين أفرادها بشكل غير متكافئ." وهذا التقييم يكون من قبل أتباع هذا المجتمع أو الطبقات الدنيا منه. عندما يرتفع المؤشر في هذا البعد (+) فهو يدل على أن الأتباع يعتقدون ويقبلون بهذا التصنيف ولكن عندما يكون المؤشر أقل (−) فيدل على أن الأشخاص يشككون في السلطة ويحاولون توزيعها فيما بينهم[13].

فهذا المؤشر يقيس إلى أي مدى يقبل الناس في مجتمعنا بأن يقودهم أو يتبوأ أحد في مجتمعهم منصبًا رفيعًا لا يستحقه. واللافت أن الأفراد الأقل سلطة في مجتمعاتنا «يتقبلون» أي سلطة فوقهم وإن كان فيها نزعة استبدادية أو أبوية، بل يعترفون أن هؤلاء الذين يقودون يستمدون قوتهم بحكم موقعهم في الهيكل الهرمي بالمؤسسة التي يعملون بها، والعكس صحيح، فقد ظهر في مجتمعات غربية نفور وعدم قبول أو توقع بأن يقودهم أشخاص غير أكفاء. وتبين أن علاقاتهم تقوم على توقعهم وقبولهم بأن تبنى علاقات القوة في مجتمعهم على الاستشارة أو الديمقراطية.

**2. الفردية مقابل الجماعية:**

يأخذ هذا البعد بعين الاعتبار درجة اندماج المجتمعات في مجموعات والتزاماتها المتصورة واعتمادها على المجموعات.

- تشير الفردية إلى أن هناك أهمية أكبر تولى لتحقيق الأهداف الشخصية .تُعرَّف الصورة الذاتية للشخص في هذه الفئة على أنها "أنا."

- تشـير الجماعيـة إلـى أن هنـاك أهميـة أكبـر تـولى لأهـداف ورفاهيـة المجموعة .تُعرَّف الصورة الذاتية للشخص في هذه الفئة على أنها "نحن."

**3. مؤشر تجنب عدم اليقين:**

المـدى الـذي يتسـامح فيـه المجتمـع مـع الغمـوض، يختلـف تقبـل كـل مجتمـع ورفضـه لضـبابية بعـض الأمـور، حيـث يتبنـى النـاس أو يتجنبـون حـدثًا لشـيء غيـر متوقع أو غير معروف أو بعيدًا عن الوضع الراهن.

- يشـير مؤشـر تجنـب عـدم اليقـين المرتفـع (+) إلـى درجـة تحمـل منخفضـة لعـدم اليقين والغمـوض والمجازفـة، يـتم تقليـل المجهـول مـن خـلال مجموعـة مـن المبـادئ والتوجيهـات والقـوانين الصـارمة والواضـحة حيـث يسـعون إلـى معرفـة الحقيقـة المطلقـة أو الاعتقـاد بـأن هنـاك حقيقـة وحيـدة تملـي علـيهم كـل شـيء ويرغـب الناس بمعرفة ما هم عليه بكل وضوح وشفافية.
- يشـير مؤشـر تجنـب عـدم اليقـين المـنخفض (−) إلـى درجـة تحمـل عاليـة لعـدم اليقين والغمـوض والمخـاطرة .المجهـول مقبـول بشـكل أكثـر علانيـة، وهنـاك قواعـد ولـوائح متسـاهلة، يميـل المجتمـع إلـى فـرض عـدد أقـل مـن اللـوائح، ويعتبـر الغموض وضعا اعتياديًا، وتعتبر البيئة بشكل عام فضفاضة وغير واضحة.

**4. الذكورة مقابل الأنوثة:**

يُشـار أيضًـا إلـى البعـد الـذكوري مقابـل الأنوثـة علـى أنـه التفضـيل فـي المجتمـع للإنجـاز، والبطولـة، والحـزم والمكافـآت الماديـة للنجـاح ويأخـذ فـي الاعتبـار تفضـيل المجتمع للإنجاز، والموقف تجاه المساواة بين الجنسين، والسلوك، وما إلى ذلك:

- تـأتي الـذكورة مـع الخصـائص التاليـة: أدوار مميـزة بـين الجنسـين، وحازمـة، ومركـزة على الإنجازات المادية وبناء الثروة.
- تـأتي الأنوثـة بالخصـائص التاليـة: أدوار الجنسـين المرنـة، والتواضـع، والتنشـئة، والاهتمام بنوعية الحياة.

**5. الاتجاه طويل المدى مقابل التوجيه قصير المدى:**

يأخذ البعد التوجيهي طويل المدى مقابل بُعد التوجيه قصير المدى في الاعتبار إلى أي مدى ينظر المجتمع إلى أفقه الزمني.

- يُظهر التوجه طويل المدى التركيز على المستقبل ويتضمن تأخير النجاح على المدى القصير أو الإرضاء من أجل تحقيق النجاح على المدى الطويل .يؤكد التوجه طويل المدى على المثابرة والمثابرة والنمو طويل المدى.
- يُظهر التوجه قصير المدى التركيز على المستقبل القريب، ويتضمن تقديم نجاح أو إرضاء قصير المدى، ويضع تركيزًا أقوى على الحاضر من المستقبل .يركز التوجه قصير المدى على النتائج السريعة واحترام التقاليد.

**6. التساهل مقابل ضبط النفس:**

يأخذ بعد الانغماس مقابل ضبط النفس في الاعتبار مدى وميل المجتمع لتلبية رغباته .بعبارة أخرى، يدور هذا البعد حول كيفية سيطرة المجتمعات على دوافعها ورغباتها. يشير هذا البعد إلى درجة الحرية التي تمنحها المعايير الاجتماعية للمواطنين في تلبية رغباتهم الإنسانية. يُعرف مجتمع الانغماس على أنه "مجتمع يتيح الإشباع الحر نسبيا لرغبات الإنسان الأساسية والطبيعية المتعلقة بالتمتع بالحياة والملذات". ويعرف مجتمع ضبط النفس بأنه "مجتمع يتحكم في إشباع الاحتياجات وينظمها عن طريق قواعد اجتماعية صارمة".

- يشير التساهل إلى أن المجتمع يسمح بإرضاء مجاني نسبيًا يتعلق بالاستمتاع بالحياة والمتعة.
- يشير ضبط النفس إلى أن المجتمع يقمع إشباع الاحتياجات وينظمها من خلال الأعراف الاجتماعية.

**رابعا: دراسات الثقافة والنماذج الذهنية "الوعي" والرخاء القومي:**

محور هذه الدراسات "الثقافة" باعتبارها محدداً مهما لقدرة الأمم على التقدم؛ لأن الثقافة تصوغ أفكار الأفراد عن الثقة والمخاطرة والجزاء والفرصة والإبداع

انطلاقا من أن القيم الثقافية مهمة يقينيا في عملية التقدم البشري؛ لأنها تصوغ طرائق التفكير للمرء بشأن التقدم، وتشكل المبادي الأساسية التي ينتظم حولها النشاط الاقتصادي، وبدون النشاط الاقتصادي يغدو التقدم مستحيلا، فالتقدم الاقتصادي يعتمد على تغير أسلوب الناس في التفكير بشأن خلق الثروة والرخاء، ومعنى هذا تغيير الأسس المتمثلة في المواقف والمعتقدات والافتراضات التي صاغت قرارات صانعي السياسات والقيادات، والتي كان حصادها أداءً اقتصاديا بائسا. ومن هنا مال علماء المعرفة إلى محاولة فهم التصورات الذهنية التي يدرك من خلالها وفي إطارها الأفراد معنى العالم، وهذه هي البداية التي يجب أن ندركها في إحداث التغيير. وقد أطلق على هذه التصورات اسم "النماذج الذهنية" التي تعرف" بأنها افتراضات أو تعميمات أو حتى صور وتخيلات عميقة الجذور وتؤثر على كيفية فهم العالم، وكيف نتصرف إزاءه "؟ فتغير الثقافة هو تغير على المستوى الكلي، ولكن تغيير النماذج الذهنية هو على المستوى الجزئي، ويصدق تطبيقه على الأفراد والجماعات، فالثقافة تعكس جماع النماذج الذهنية الفردية، وتؤثر بدورها على هذه النماذج الذهنية لدى الأفراد، ويرتبط الاثنان داخل منظومة دائمة التطور، حيث إن النقطة الأساسية بالنسبة للقوة الدافعة والفعالة لخلق التغير يمكن أن تساعد على تغير النماذج الذهنية على المستوى الفردي بداية بأسلوب الفرد في التفكير بشأن حياة أفضل، وهذه علاقة مهمة بين النماذج الذهنية وتحقيق التقدم والرخاء، ولكنها لا تفترض بالضرورة تجانسا على ثقافة كوكبية واحدة، لأنه يمكن أن يكون هناك اقتصاد واحد وثقافات أو حداثات متعددة، مع وجود قيم عالمية للتقدم والرخاء، والواقع أثبت ذلك من خلال بعض التجارب التنموية في العالم.

لقد مثل هذا الإطار الفكري الجديد، والذي يركز على نظرية الاستبطان للواقع أو النظر إلى باطن الواقع، بتركيزه على القيم والمواقف الثقافية، رد فعل على التفسير الذي تمثله نظرية الاعتمادية **DependencyTheory**، أو ما يعرف

بنظرية "التبعية" في تفسير ظاهرة التخلف والتنمية، حيث كانت دول أمريكا اللاتينية تحمل فيها دور الريادة في التعبير عن هذا الإطار الفكري، ولكن بعد حدوث تجارب عديدة ناجحة، وخصوصاً في دول شرق آسيا، انقلب التفسير العلمي إلى التركيز على الثقافة، وأصبح رواد اتجاه نظرية التبعية يواجهون اليوم السؤال التالي: إذا لم تكن نظرية الاعتمادية والإمبريالية مسئولتين عن تخلفنا الاقتصادي، وعن تقاليدنا السياسية الاستبدادية وعن المظالم الاجتماعية المفرطة، فمن المسئول إذن؟

لفهم هذا التيار النظري المفسر لدور الثقافة في التنمية عن طريق فهم النموذج الذهني للناس نسر لكم هذه القصة والمعروفة بقصة **(يوم البقرة)** [14] هذه القصة تؤكد دور النماذج الذهنية في تحقيق التنمية او ممانعة التنمية؛ كلفت شركة مونيتور بعمل دراسة وتقديم توصيات عن كيف يمكن لمنتجي الصناعات الجلدية في كولمبيا ان يكونوا أكثرا رخاء ويصدرون منتجاتهم وينافسون في السوق الامريكية؛ وبعد استقصاء حوالي 200 شركة جلد تبين ان الجلد الكولومبي غالي التكلفة وقليل الجودة؛ والسؤال لماذا ذلك؟

ذهب الفريق الى كولومبيا ليسل أصحاب المصانع عن سبب تدني الجودة والاسعار المرتفعة. قالوا هذا ليس خطانا بل خطاء المدابغ المحلية التي تمدهم بالجلود إضافة الى فرض الحكومة ضريبة 15%؛ سافر الفريق الى الريف حيث المدابغ ولاحظ كمية التلوث ولما سالوا أصحاب المدابغ لماذا الجلد سيء قالوا بكل سعادة ان المجازر تزود المدابغ بجلد سيء لأنهم يركزون على بيع اللحوم بأثمان مرتفعة دون الاهتمام بالجلد.

ذهب الفريق الى الجزارين وسألوهم نفس الأسئلة وكانت الإجابة ان هذا ليس خطئهم بل خطاء المربين اللذين يغالون في وسم ابقارهم بالحديد المحمي حتى يمنعوا سرقتهم والطبيعي ان كثرة النار على الجلد تفسده. ثم ذهبوا الى مربي الماشية وسائلوهم نفس الأسئلة وقالوا ان هذا ليس خطئهم بل خطاء البقرة حسب قولهم لان البقر يحك جلده على الاسلاك الشائكة ليهرش جلده ولأبعاد الذباب الذي

يعضه. هنا اغلق الفريق الحواسيب وأيقنوا ان صناع حقائب اليد في كولومبيا أعجز من ان ينافسوا سوق الولايات المتحدة الجذابة، وذلك لان البقر أبكم.

أن علاقة النماذج الذهنية بالعوامل الديموغرافية والجغرافية، أو المهنية كانت ضعيفة، بل أيضا العلاقة بالمعتقدات الأساسية والافتراضات والمواقف إزاء موضوع التغيير وخلق الثروة. فالثقافة مهمة وتوليد العمل على صعيدها مهمة جبارة أيضا، فالعمل على تغيير النماذج الذهنية التي تصوغ أفكار الأفراد والجماعات أمر ممكن ومهم ودعامة أساسية للتغيير، حيث إن الأفراد غالبا ما يقبلون الحجج العقلية، ويتفهمون حاجتهم إلى التغيير، ويعربون عن التزامهم بعمل التغيير، ولكنهم بعد ذلك يلوذون بما هو مألوف، وهذا الميل للردة إلى المألوف ليس خاصية ثقافية في ذاتها، وإنما هو مؤشر يكشف عن بعض التحديات الأعمق التي يواجهها الراغبون في دعم رؤية مختلفة وأكثر ازدهارا عن المستقبل. ولكن هنا يثور سؤال هل يعني ذلك أن الشعوب النامية لكي تحقق التغيير وتتلاءم مع الاقتصاديات المتقدمة مطالبة بتغيير ثقافتها؟

الإجابة على هذا السؤال بالتأكيد صعبة، ولكن حتما لها علاقة بالثقافة، وذلك لا يعني محوها أو تغييرها؛ لأن الواقع أثبت إمكانية تحقيق اقتصاد متقدم بثقافات متعددة.

فالمحور المهم يتركز حول توزيع منظومات المعتقدات الفردية من حيث علاقتها بأبعاد التغير، وإحدى الخطى المهمة لضمان التقدم البشري في توجيه الجهود لخلق وعي تنموي من خلال فهم وتحديد النماذج الذهنية، ومحاولة تغيير رؤيتها للعالم، وغرس قيم ونماذج وتصورات حداثية تحدث التقدم والرخاء، وتجيب على الأسئلة حول كيف تتخذ قراراتك؟ وكيف تخاطر؟ وكيف تبدع بشكل حداثي ومتقدم؟

**خامسا: المجتمع الليبي: نموذج الحداثة القشرية:**

**الحداثـة** هـي نظـام بعـد تقليـدي بمعنـى انهـا تحـدث قطيعـة مـع الـنظم السـابقة عليهـا او تحولهـا وتصـلها لخدمـة اغراضـها، ومـن ثـم فـان الحداثـة لـم تظهـر بـين يـوم وليلـة، ولكنهـا جـاءت بعـد تـأملات عقليـة وجـدل معرفـي، وحـوارات علميـة تراكمـت عبـر قـرون عديدة بحيث ميزت نفسها عن العهود السابقة عليها.

لقـد تمخضـت هـذه العمليـة هـذه العمليـات المتصـلة عـن تـدمير عـالم وبنـاء عـالم اخـر تـم تـدمير او اضـعاف عـالم غيـر حـر تسـيطر عليـه الخرافـة واقـل عقلانيـة واقـل إنتاجيـة واقـل تسـامحا واقـل ديموقراطيـة والتأسـيس وبنـاء عـالم اخـر حـر عقلانـي ديموقراطية يقوم على احترام الفرد والعلم والتكنولوجيا.

لقـد تـم الانتقـال الـى الحداثـة فـي الحضـارات الغربيـة عبـر صـور واضـحة فـي نظـم الدولـة والأيدلوجيـة والـنظم الإعلاميـة والثقافيـة وأسـاليب الحيـاة. ولكـن ظـروف انتقالهـا فـي الـى الحضـارات غيـر الغربيـة قـد أحـدث تحـولا فـي هـذه الصـيغ الشـكلية بحيـث بـدأت الحداثـة مختلفـة عـن أصـلها فـي المنشـئ لقـد أدت الاليـات المتحكمـة فـي نقـل الحداثـة الـى خلـق نـوع مـن الحداثـة يطلـق عليـه (الحداثـة الطرفيـة)[15] او(البرانيـة) او (القشـرية) عبـر عمليـة يطلـق عليهـا **قلدنـــة الحداثـــة**؛ حيـث تمـت عمليـات التحـديث القسـري حسـب اهـواء الجماعـات المسـيطرة او الحاكمـة لأنـه لـم ينقـل مـن الحداثـة أحسـن مـا فيهـا بـل مـا يتناسـب مـع اهـواءهم وتوطيـد حكمهـم فأنتجـت لنـا ثقافـة لا هـي تقليديـة ولا هـي ثقافـة حداثيـة انصـهارها بـالتراث لـم يخلـق ثقافـة حديثـة بـل احيـاء التـراث بشـكل حـديث علـى المسـتوى السياسـي والثقـافي ومسـتوى التفـاعلات اليوميـة فالبنـاء حداثي مـن حيـث الشـكل ولكنـه يعيـد انتـاج عناصـر تراثيـة يوظفهـا فـي طريقـة أدائـه مـن ناحيـة وفـي كسـب الشـرعية مـن ناحيـة أخـرى وفـي تشـكيل توازنـات القـوى مـن ناحيـة أخرى.

**لقـد** مـر المجتمـع الليبـي بـالتغير والتحـديث منـذ فتـرة طويلـة ابتـدأت مـع المرحلـة الاسـتعمارية وسياسـة الاسـتيطان ثـم العهـد الملكـي وعهـد 1969م هـذه الفتـرة الطويلـة مـن التنميـة والتحـديث كـان يجـب ان تحـدث تغيـرات جوهريـة علـى مسـتوى البنيـة

والفعل فالمجتمع الليبي ليس مجتمع حداثي ولا هو بمجتمع تقليدي، يقول الدكتور مصطفى التير ان المجتمع الليبي توجد به خصائص ثقافية بعينها تحكم الطرق التي يؤدى بها الليبيون مختلف انشطتهم اليومية ومواقفهم واتجاهاتهم المسؤولة عن تأخر المجتمع الليبي، وله نموذج نظري اسماه (المراوحة في المكان) يتكون من ستة ابعاد[16]:

1. **البدونة:** يقصد بها حمل الثقافة البدوية الى المدينة (المؤسسة) فحسب رائيه ان الثقافة البدوية تحتاج الى فراغ واسع يتمثل في حياة الترحال وهي تنفع في بيئتها، ولكن عندما يحمل الشخص هذه الثقافة الى المدينة تتعارض مع الحياة المستقرة والحضرية التي تخضع للالتزام بالقواعد المؤسسية والاستقرار.
2. **القبلية:** وهي الشعور بالانتماء للقبيلة أكثر من الدولة، فيقول ان القبيلة نجحت في الالتفاف حول المشروع المجتمعي الحداثي المبني في اساسه على خطط وضعتها السلطة المركزية، فقوة الولاء القبلي ساهمت بنصيب في عرقلة بل وتخريب بعض برامج تنمية وتحديث المجتمع.
3. **الشخصنة:** اخضاع القوانين لمزاج الفرد. وتعني المزاوجة بين الفكرة او القضية او العمل او الموقف الشخصي، بدلا من توظيف الموضوعية والتعامل مع القضية من زاوية لا تتصل بالتفصيل الخاص بالذي يناقشها.

4. **خطـاب اللـون الواحـد:** اعتـاد المجتمـع الليبـي علـى وجـود سـلطة واحـدة تبـدأ مـن سـلطة الاب الـى الشـيخ الـى الدولـة وهـذه السـلطة هـي التـي تصـدر الأوامـر دون نقـاش وهـذا انسـحب علـى كـل المؤسسـات، واسـهم النظـام التعليمـي فـي تعميـق هـذه القـيم بـدل ان يغيرهـا لان التعلـيم يعتمـد علـى محتـواه فلقـد سـخر فـي هـذه المجتمعـات للتلقـين ولـيس للتفكيـر الناقـد، ومـن ثـم وطـد التعلـيم هـذه القـيم وهذه السلطة التي لها خطاب واحد وهو الامر.

5. **أفكـــار الكهـــف او الهـــروب الـــى الـــوراء:** او مـــا يعـــرف بالماضـــوية او النسـتولوجيا، وهـذه القيمـة تختـزل فـي هـذه المجتمعـات فـي مقولـة مـن لـيس لـه مـاض لـيس لـه حاضـر او مسـتقبل، فهـي لـم تسـتخدم لـدرس الماضـي والاسـتفادة مـن التجـارب والاخطـاء بـل سـخر الـى الرجـوع الـى التـراث او مـا يعـرف **بقلدنـــة الحداثة** عند **احمد زايد** وخصوصا تغليف ذلك بالدين وسيرة الاولين.

6. **الاستســـهال:** ان اغلـب الثقافـات يوجـد بهـا قـيم تحـث علـى العمـل والجـد ومنهـا المجتمـع الليبـي ولكـن التحـولات الاقتصـادية والسياسـية غرسـت قـيم أخـرى وهـي قـيم التواكـل والاعتمـاد علـى الدولـة والوظيفـة بـدون عمـل حقيقـي، وهـذا أضـعف القـيم التنمويـة، قـيم خلـق الثـروة والعمـل، حيـث تقـدم الدولـة السـكن والوظيفـة والمركـوب، دون عمـل جـدي ممـا غـرس قيمـة الاستسـهال لـدى المجتمـع والذي عرف بنموذج الدولة الام المرضعة.

هـذا النمـوذج الثقـافي الـذي صـاغه **التيـــر** جـاء نتيجـة دراسـات ميدانيـة وملاحظـات وخبـرات سـابقة حـول المجتمـع الليبـي حيـث يقـول التيـر ان سـلوك الغالبيـة مـن المجتمـع الليبـي سـيظل مزيجـا بـين قـيم لا هـي تقليديـة بـالمعنى التقليـدي ولا هـي حداثيـة ممـا سـيؤدي الـى مزيـد مـن التخـبط والـى المزيـد مـن ضـياع الفـرص، وبعبـارة أخـرى الـى تكـريس ونمـو التخلـف [17]. ويوصـف التيـر الشخصـية الليبـي فـي دراسـة اخـري بعـدة صـفات توصـف بهـا الشخصـية الليبيـة ومـع نـدرة الدراسـات حـول الشخصـية الليبيـة تعتبـر هـذه محاولـة جيـدة حيـث جـاءت

اغلب هذه الصفات بعيدة عن ان تؤسس لمجتمع حديث يتسم بالقيم المدنية التنموية لبناء المجتمع وهذه الصفات[18]:

ولتأكيد بعض النتائج لدراسات التير هناك **مسح القيم العالمي** نتائج ليبيا في الموجة السادسة 2010-2014[19] حيث كانت أبرز نتائجه بان هناك حضور واضح للثقافة الريعية في مقابل ثقافة العمل والإنتاج. وأكثرية الليبيين ترى أن على الحكومة أن تتحمل مسؤولية أكبر في تامين حاجيات الناس، وأقلية لا باس بها ترى ضرورة أن تكون الدخول أكثر تساويا. وتعتقد أقلية معتبر من الليبيين في اهمية تعزيز ملكية الدولة للصناعة وقطام الأعمال وتقر أقلية صغير ضرورة تعزيز الملكية الخاصة للصناعة وقطام الأعمال فيما ترى أقلية لا بهس بها أن جعل الدولة الدخولَ متساوية من خصائص الديموقراطية الأساسية.

النتيجة الأساسية التي توصل اليها المسح ان المجتمع الليبي تغلب عليه القيم التقليدية: مقابل قيم العقلانية، قيم البقاء مقابل قيم التعبير عن الذات[20].

| القيم التقليدية وقيم البقاء | القيم العقلانية وقيم التعبير عن الذات |
|---|---|
| أهمية الامن العسكري | المساواة بين الجندرية |
| الامن الصحي الامن الاقتصادي | المشاركة السياسية والمدنية |
| النمو الاقتصادي قبل الحفاظ على البيئة | أولوية الحفاظ على البيئة |
| اقل تسامحا | التسامح |
| ثقة ضعيفة في الاخر | الثقة |
| تطلع عائلي قبلي | تطلع بشري كوني |
| متوجس من الاخر المختلف عنه | اقل توجسا ممن الاخر |
| للأسرة والدين واحترام السلطة أهمية كبيرة | اقل احتفالا بالدين والسلطة والاسرة |
| خطاب واحد | الرغبة في الاختيار الحر |

انخفاض مستويات التسامح في المجتمع الليبي مما يعبر عن إحدى المشكلات المتعلقة بضعف قيم الثقافة المدنية وانخفاض رأس المال الاجتماعي المحفز على التقدم والتغير، باعتبار أن الثروة الحقيقية تتمثل في رأس المال البشري المتقدم الذي يتميز بمواقف تحث على المنافسة كقوة للإبداع، وتدعم المبادرة الفردية

الإنسانية، والتعليم والثقة بين الأفراد والمؤسسات. بين المتطوعين ينبئ بمستقبل غامض للعمل التطوعي، أو أن العمل التطوعي لم يساعد على تعميق هذه الثقافة بين المتطوعين، وضعف تأثيرها فيهم؛ وربما يرجع ذلك لبعض القيود البنائية التي تفرضها مثل هذه المجتمعات على عمل هذه المؤسسات، أو على ممارسة العمل التطوعي بشكل خاص، مع ضعف ثقافة الأفراد بهذه الأعمال المدنية التطوعية

ان المنظومة القيمية للمجتمع الليبي تعاني من اختلالات بنيوية وان هذه الاختلالات مسؤولة بطريقة ما عن الازمات والصراعات التي تعصف بهم، والتحديات والمخاطر التي تواجههم، وتقف سدا منيعا دون تحقيق ما يهدفون اليه فالأنماط السلوكية المانعة لثقافة النهوض والتقدم (استباحة المال العام استيفاء الحق بالذات استخدام العنف وسيلة لفرض الراي) سوف تضعف وتختفي تدريجيا عبر مناخ ثقافي وحقوقي وسياسي واقتصادي تتناغم فيه المصالح الفردية مع اهداف الصالح العام.

**الخاتمة والنتائج:**

تؤكد بعض الدراسات على أن هناك قيما حداثية مدنية عالمية تتميز بها الثقافات التقدمية عن الثقافات التقليدية، وهذه القيم ليست لها علاقة بالجنس أو الإقليم أو المناخ، بل إن توافرها مرتبط بالثقافة السائدة في أي مجتمع، ويمكن إجمال هذه القيم في التالي:

- التوجه الزماني، تؤكد الثقافات التقدمية على المستقبل، بينما الثقافات التقليدية والسكونية تؤكد على الحاضر أو الماضي.
- الثقافات التقدمية تؤمن بمحورية العمل من أجل حياة جيدة، ولكنه عبء في الأخرى، فالعمل في الأولى يشيد بالحياة اليومية، والكد والاجتهاد والإبداع والإنجاز، والعائد ليس ماديا فقط، بل إشباعا نفسيا واحتراماً للذات.
- التعليم الجيد مفتاح التقدم في الثقافات التقدمية، ولكنه ذو أهمية هامشية فيما عدا المال بالنسبة للنخبة في الثقافات السكونية.

- الجدارة من أجل التقدم في الثقافات التقدمية، ولكن الروابط الشخصية والعائلية هي الشيء المهم في الثقافات السكونية.
- نلحظ في الثقافات التقدمية أن نطاق التطابق والثقة يتجاوز حدود الأسرة إلى المجتمع الأوسع، ولكن في الثقافات التقليدية نجد الأسرة هي حدود المجتمع، والمجتمعات التي يضيق نطاق التطابق والثقة فيها مهيأة للفساد، والتهرب الضريبي، والمحاباة، وأقل نزوعا نحو حب البشر عامة.
- العدالة والأمانة توقعات شاملة في العلاقات الشخصية في الثقافات التقدمية، ولكن العدالة في الثقافات السكونية شأن التقدم الشخصي غالبا ما تكون دالة على من الذي تعرفه؟ وكم دفعت؟
- السلطة في الثقافات التقدمية تميل إلى الانتشار، وأن تكون موزعة أفقيا، ولكنها في الثقافات الأخرى تميل إلى التمركز وموزعة رأسيا.
- نفوذ المؤسسة الدينية على الحياة المدنية ضئيل في المجتمعات التقدمية، فالخروج والانشقاق يلقيان تشجيعا في الأولى، ويقابلهما التقليد والتماثل في الثانية.

وتعبر هذه القيم والعوامل عن القواعد العامة والصور المثالية، حيث إن التباين فيها ليس مسألة أسود أو أبيض، بل تتداخل كل الفروقات في بعضها، فنجد أن عدداً قليلاً من المجتمعات الذي يحوز درجات عالية من هذه العوامل، وكذلك لا نجد أياً من المجتمعات يحصل على درجة واحدة فقط منها، ولكن مع ذلك تظل الديمقراطيات المتقدمة تحصل عمليا على درجات موضوعية مرتفعة من هذه القيم.

**المراجع:**

1. انتوني جيدنز، فيليب صاتن، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ت محمد الذوادي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بيروت، ط1، 2018، ص 223
2. 2لورانس إي. هاريسون
http://www.siironline.org/alabwab/moghavama_alfaghr/023.html

.3
https://iranarab.com/Default.asp?Page=ViewArticle&ArticleID=540

4. ميشيل فيربانكس، تغيير عقل امة: عناصر عملية ابداع، في الثقافات وقيم التقدم، تحري: لورنس هايزون، صمويل هنتنجتون، ترجمة شوقي جلال، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2005، ط1، ص449.
5. مسح القيم العالمي، تحرير منصور عدلي،ت، عبدالحميد منصور، المجلس القومي للترجمة ، القاهرة، 2010،ص35
6. – Parsons:(1973) the structure of social action the free press, new York
7. قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، ترجمة: مصطفى خلف عبد الجواد، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة 2002، ص307
8. جي روشيه:( علم الاجتماع الأمريكي دراسة لأعمال تالكوت بارسونز,ترجمة: محمد الجوهري, احمد زايد, دار المعارف, القاهرة. 1981، ص74.
9. ماريانو، جروندون، دراسة الأنماط الثقافية للتطوير الاقتصادي، في الثقافات وقيم التقدم , لورانس أي هاريزون, صمويل هنتجتون, ترجمة: شوقي جلال, المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة، 2005، ص118.
10. أيان كريب: النظرية الاجتماعية من تالكوت بارسونز إلى هابرماس, ترجمة: محمد حسين غليوم, سلسلة عالم المعرفة, العدد244, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت، 1999، ص100.
11. https://news-hofstede--insights-com.translate.goog/news/what-do-we-mean-by-culture?_x_tr_sl=en&_x_tr_tl=ar&_x_tr_hl=en-US&_x_tr_pto=ajax,se,elem,sc

12. ttps://news-hofstede--insights-com.translate.goog/news/why-is-managing-cultural-diversity-important?_x_tr_sl=en&_x_tr_tl=ar&_x_tr_hl=en-US&_x_tr_pto=ajax,se,elem,sc

13.13 https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%A8%D8%B9%D8%A7%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A

14. -الثقافات وقيم التقدم، تحرير: لورانس أي هايرزون، صمويل بي هنتنجتون، ت: شوقي جلال، المجلس الأعلى للترجمة، القاهرة، 2005، ص449.

15. احمد زايد، تناقضات الحداثة في مصر، دار عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 2005، ط1،

16. مصطفى التير، أسئلة الحداثة والانتقال الديموقراطي في ليبيا المهمة العصية، منتدى المعارف، بيروت، 2013، ط1، ص61.

17. نفس الرجع السابق، ص74

18. انظر، مصطفى التير، صراع الخيمة والقصر رؤية نقدية للمشروع الحداثي الليبي، منتدى المعارف، بيروت، ط1، 2014.

19. انظر، زاهي المغيربي، واخرون، المسح العالمي للقيم المسح الشامل لا راء الليبيين، التقرير النهائي، مركز البحوث الاستشارات، جامعة بنغازي، بنغازي، 2015.

20. نفس الرجع السابق، ص26.